

الأمثل في تفسير كتاب المنزل

[189] الخلق، فهل عندهم خزائن أم عندهم خزائن ربك (1) ليهبوا من شاءوا نعمة النبوة والعلم أو الأرزاق الأخر ويمنعوا من شاءوا ذلك: (أم هم المصيطرون) على جميع العوالم وفي أيديهم الأمور الخلائق؟! إنهم لا يستطيعون - أن يدعوا أبداً أن عندهم خزائن أم تعالى، ولا يملكون تسلطاً على تدبير العالم، لأن ضعفهم وعجزهم إزاء أقل مرض بل حتى على بعوضة تافهة وكذلك إحتياجهم إلى الوسائل الإبتدائية للحياة خير دليل على عدم قدرتهم وفقدان هيمنتهم! وإنما يجربهم إلى إنكار الحقائق هو النفس والعناد وحب الجاه والتعصب والأناية!. وكلمة: "مصيطرون" إشارة إلى أرباب الأنواع التي هي من خرافات القدماء، إذ كانوا يعتقدون أن كل نوع من أنواع العالم إنساناً كان أم حيواناً آخر أم جماداً أم نباتاً له مديّر ورب خاص يدعى برّب النوع ويدعون أم "رب الأرباب" وهذه العقيدة تعدّ في نظر الإسلام "شركاً" والقرآن في آياته يصرّح بأن التدبير لجميع الأشياء هو وحده ويصفه برّب العالمين، وأصل هذه الكلمة من "سَطَر" ومعناه صفّ الكلمات عند الكتابة، و "المسيطر" كلمة تطلق على من له تسلط على شيء ما ويقوم بتوجيهه، كما أن الكاتب يكون مسيطراً على كلماته (وينبغي الإلتفات إلى أن هذه الكلمة تكتب بالسين وبالصاد على السواء - مسيطر ومصيطر - فهما بمعنى واحد وإن كان الرسم القرآني المشهور بالصاد "مصيطر"). ومن المعلوم أنّه لا منكر للنبوة ولا المشركون في العصر الجاهلي ولا سواهما يدعي أيّاً من الأمور الخمسة التي ذكرها القرآن، ولذلك فإنّه يشير إلى موضوع آخر في الآية التالية فيقول: إن هؤلاء هل يدعون أن الوحي ينزل عليهم

1 - الخزائن جمع الخزينة ومعناها مكان كل شيء محفوظ لا تصل إليه اليد ويدّخر فيه ما يريد الإنسان يقول القرآن في هذا الصدد (وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم) [الحجر الآية 21].